تحديث مواجهة التكفير: من إطار الفكرة إلى إطار الزمرة

ورقة بحثيّة لصالح المؤتمر الفلسفي العربي – الدورة 13 **(التفكير والفلسفة في مواجهة التكفير)**

كتب البحث: نورالدين

تأريخ: 2025\4\21

1. مقدّمة

لستُ مَن يردّد على مسامعكم أنّ التكفير صار آفة العصر، وأنّ له نتائج مدمّرة على الفرد والمجتمع، فهذا ما تمتلئ به الصحف والشاشات. ما أودّ طرحه هنا هو مقاربة جديدة مختلفة، أعتقد أنّها تصل إلى جذر المشكلة وتقترح طرائق حقيقيّة لمواجهتها لم تُطرَح من قبل بهذا النهج والوضوح والتأسيس النظريّ.

لطالما رأيتُ أنّ المنهج العلميّ في النظر إلى الأمور هو ذروة سنام الفلسفة، فالفلسفة ليست ترفًا فكريًّا بل أداةٌ للتغيير والإصلاح، والعلم هو ابنها المفضّل الأثير "آخر العنقود". ولذلك أتجرّأ على تقديم هذه المقاربة العلميّة في ورقة فلسفيّة، وأرجو أن نتجاوز معًا الصورة النمطيّة عن الفلسفة كتأمّلات متعالية لا تمسّ الواقع.

لقد تصدّى أسلافنا المعرفيّون للإرهاب في عصور مختلفة، وواجه كثيرون منهم مصائر وخيمة، فمنهم مَن سُجن ومنهم مَن نُفي ومنهم مَن فُصل من وظيفته، بل ومنهم مَن دفع حياته ثمنًا لموقفه (1). ومع تقديرنا العميق لتضحياتهم وشجاعتهم، فلا بدّ من الاعتراف بأنّهم قد أخطؤوا في مقاربة الأمر بطريقة محدّدة. لا نلومهم على ذلك، بل نعذرهم بسبب سياقهم المعرفيّ والتاريخيّ الذي كانوا فيه، ونقدّر لهم جهدهم ونأسف على ما أصابهم.

خطأ المقاربات السابقة يتمثّل في التعامل مع التكفير كفكرة يمكن دحضها بالحجج والبراهين، أو كانحراف فقهيّ يمكن تصحيحه بالمناظرات والجدل، أو كسلوك شاذّ يمكن تقويمه بالوعظ والإرشاد (2). لكنّ هذه المقاربات - رغم بعض نجاحاتها المحدودة وأنا مثال عليها - لم تنجح في جوهر المواجهة (3). بل أحيانًا أدّت إلى نتائج عكسيّة حين زادت من تمسّك المتطرّفين بأفكارهم مدفوعين بردود فعل نفسيّة دفاعيّة (4).

انطلاقًا من منهجي الفلسفيّ الذي وضّحته في كتابي "التنقيب عن المعنى" وأسميته الفلسفة "المنجميّة" (5)، فأنا أقيس شيئًا على شيء، بطريقة عابرة للتخصّصات لا تفتقر إلى العمق المتخصّص في الحقل المُقاس عليه والحقل المُقاس. وهنا في هذه الورقة أقوم بقياس مزدوج: أقيس التكفير على الزمرة العقائديّة (cult)، وأقيس المجتمع على الفرد، وبذلك تعدّ هذه الورقة تطبيقًا للفلسفة المنجميّة في معالجة قضيّة واقعيّة راهنة.

تقترح هذه الورقة أنّ التكفير المنظّم ليس مجرّد فكرة أو اجتهاد فقهيّ خاطئ، بل ظاهرة اجتماعيّة-نفسيّة معقّدة تشبه في بنيتها وآليّات عملها الزمَر العقائديّة (6) (cults)، هذه المقاربة الجديدة تنقلنا من الجدل حول صحّة الفكرة أو خطئها (وهو جدل مطلوب لكنّه غير كافٍ) إلى فهم الديناميكيّات النفسيّة والاجتماعيّة الّتي تُمكّن الجماعات التكفيريّة من السيطرة على أتباعها، وتحصّنهم من أيّ تأثير خارجيّ (7).

لقد وقعت أجهزة مكافحة التطرّف في العالم العربيّ في خطأ جسيم: بذلت ملايين الدولارات في برامج "المناصحة"، والحوار الفكريّ، والدعوة للاعتدال، ثمّ فوجئت بأنّها تجنّد مزيدًا من المتطرّفين داخل سجونها! (8). لماذا؟ لأنّها لم تفهم أنّ المشكلة ليست في الأفكار وحدها، بل في البِنية النفسيّة-الاجتماعيّة الّتي تمنع هذه الأفكار من أن تُمسّ أو تُناقش (9).

ما تقدّمه هذه الورقة هو "تحديث" جذريّ لمقاربة مواجهة التكفير، تحديث يستند إلى أحدث نظريّات علم النفس الاجتماعيّ (10)، وأدبيّات دراسات الزمر العقائديّة (11)، والتجارب العالميّة المستخلصة من برامج إعادة تأهيل المتطرّفين والخارجين

من الجماعات المغلقة (12).

إليكم هذه المقاربة الجديدة، عسى أن تثمر أفكارًا وتطبيقات تساعدنا في مواجهة هذه الظاهرة الّتي تهدّد وجودنا وهُويّتنا ومستقبلنا، ولعلّ هذا البحث يؤكّد أنّ الفلسفة حين ترتبط بالواقع، تصبح قادرة على إضاءة طريق الخلاص.

2. المحور الأوّل: البِنية النفسيّة-الاجتماعيّة للتكفير "المنظّم"

اتّخذت ظاهرة التكفير في تاريخها الطويل ثلاثة مستويات متمايزة، يُسهم فهمها في إدراك عمق التحوّل الذي طرأ على هذه الظاهرة. المستوى الأوّل، وهو الأقدم تاريخيًّا، يتمثّل في توظيف التكفير كأداة سياسيّة في الصراع على السلطة. في هذا المستوى، لم يكن التكفير يعدو كونه عذرًا لممارسة العنف السياسيّ أو تبريرًا للبطش بالخصوم، وهو ما يمكن ملاحظته في حركات عسكريّة قديمة مثل الخوارج، وما تلاها من الحركات الّتي اتّخذت من التكفير سلاحًا سياسيًّا.

المستوى الثاني، فقد ظهر في صورة ظاهرة دعائية سلطويّة حديثة مدعومة بموارد ماديّة ضخمة، خاصّة في مناطق إنتاج النفط، لا سيّما خلال الحرب الباردة. هذا المستوى يتميّز باستخدام التكفير كأداة للضبط الاجتماعيّ والسيطرة الأيديولوجيّة، معتمدًا على مؤسّسات رسميّة ومنظومات تعليميّة وإعلاميّة لنشر أفكاره.

أمّا المستوى الثالث، وهو الأكثر تعقيدًا، يظهر في العصر الحديث كظاهرة اجتماعيّة-نفسيّة تتقاطع مع الزُمر العقائديّة (cults). يتميّز هذا المستوى بسمتين رئيستين: الأولى هي القطيعة مع التراث القريب والادّعاء بوجود صلة مباشرة مع الماضي البعيد، والثانية هي الاعتماد على ما يمكن تسميته "الجسر البشريّ"، وهو قيادة كاريزميّة تدّعي القدرة على الربط المباشر بين الحاضر والماضي البعيد متجاوزةً كلّ التراث الفقهيّ والفكريّ الممتدّ بينهما، وهذا ما رأيناه بدرجة أو بأخرى في كلّ دعوات العودة إلى الأصول.

هذا التحوّل العميق في طبيعة التكفير، من أداة سياسيّة بسيطة نسبيّاً إلى ظاهرة زُمريّة معقّدة في العصر الحديث، يفسّر جانبًا مهمًّا من صعوبة مواجهتها بالأدوات التقليديّة. فالمقاربات الّتي قد تنجح في مواجهة التكفير السياسيّ التقليديّ قد تفشل تمامًا في مواجهة ما يشبه الزَمر العقائديّة في العصر الحالي، تلك الّتي تمتلك آليّات نفسيّة واجتماعيّة أكثر تعقيداً وقدرة على التأثير، لا سيّما في حال كونها منظّمة بشكل أو آخر.

ممّا تقدّم، يتّضح أنّ فهم هذه المستويات الثلاثة وما يميّز كلّاً منها يشكّل خطوة أساسيّة في تطوير استراتيجيّات فعّالة لمواجهة التكفير المعاصر. فالتعامل مع الظاهرة يتطلّب أدوات مختلفة تبعاً للمستوى الذي نواجهه، ويستدعي فهماً عميقاً لخصائص كلّ مستوى وآليّات عمله.

لا يمكن فهم الانجذاب نحو الجماعات التكفيريّة المنظّمة وقدرتها على الاستمرار والتأثير بمعزل عن تحليل بِنيتها وبِنية محيطها الّذي تفعل فيه، وهنا نقصد البِنية النفسيّة والاجتماعيّة العميقة. يتجاوز الأمر مجرّد تبنّي أيديولوجيّة متطرّفة؛ فالانخراط في هذه الجماعات غالبًا ما يكون مدفوعًا بتفاعل معقّد بين نقاط ضعف فرديّة وديناميكيّات جماعيّة قويّة وآليّات سيطرة ممنهجة تشبه إلى حدٍّ كبير تلك المستخدمة في الزمر العقائديّة عالية السيطرة (9). يهدف هذا المحور إلى تفكيك هذه البِنية، بدءًا من الدوافع الفرديّة الّتي يجري استغلالها، مرورًا بتأثير الجماعة نفسها، وصولًا إلى أساليب السيطرة المحدّدة الّتي تضمن الولاء والامتثال.

ورغم أنّ نقاط الضعف يجري ربطها عادةً بالظروف الاجتماعيّة والنفسيّة، إلّا أنّها أوسع من ذلك بكثير. أي هي تشملها بالتأكيد لكنّها أوسع من ذلك، وهذا يأتي في إطار الردّ على بعض الحجج الوجيهة الّتي تستخدم شواهد من كون أيمن الظواهري أو أسامة بن لادن أو غيرهم أناس مرفّهون أو ناجحون في أعمالهم، فمواضع الهشاشة قد تمتدّ إلى فقدان شخص عزيز، أو أزمة منتصف العمر، أو أيّ أزمة وجوديّة يلجأ فيها الإنسان المسلم إلى الوسط المتديّن ليحقّق استقرارًا نفسيًّا ما.

2.1. نقاط الضعف النفسيّ والدوافع المستغلّة في التجنيد

تستهدف عمليّات التجنيد الّتي تقوم بها الجماعات التكفيريّة، وخاصّة للشباب، مجموعة من نقاط الضعف والدوافع النفسيّة والاجتماعيّة. لا يعني وجود هذه النقاط بالضرورة وجود اضطراب نفسيّ سريريّ لدى الفرد، فالأبحاث ترفض بصورة عامّة النظرة التبسيطيّة الّتي تساوي بين التطرّف والمرض النفسيّ (13)، بل إنّ الأفراد يتصرّفون بمنطقهم الخاصّ ضمن إطارهم الأيديولوجيّ. تشمل أبرز هذه الدوافع ونقاط الضعف المستغلّة:

- **الضعف العاطفيّ والعزلة:** الأفراد الذين يمرّون بأزمات شخصيّة، أو يشعرون بالضيق العاطفيّ، أو يعانون من العزلة الاجتماعيّة يكونون أكثر عرضةً للتأثّر برسائل هذه الجماعات.
- **البحث عن المعنى والأهمّيّة:** الشعور بفقدان الأهمّيّة الشخصيّة أو عدم الرضا عن الوضع الراهن، والسعي الحثيث لإيجاد هدف أسمى أو هُويّة واضحة (14) يمكن أن يجد استجابةً في الوعود الّتي تقدّمها هذه الجماعات.
- **المظالم الشخصيّة والجماعيّة:** استغلال الإحساس بالظلم أو الإهانة أو التهديد، سواءً كان حقيقيًّا أو متصوّرًا، وتأطيره ضمن سرديّة متطرّفة تحدّد "الأعداء" وتقترح حلولًا جذريّة. وهذا ما يمكن رؤيته بوضوح في ظلّ شنّ حرب إبادة جماعيّة تبنّتها الشاشات، وبوجود خلفيّة مفضّلة لدى الإعلام بتأطير الحرب ذات الأسس القوميّة على أنّها حرب دينيّة.
- **الحاجة للانتماء والهويّة:** الرغبة القويّة في الانتماء إلى جماعة متماسكة توفّر الدعم والهُويّة، خاصّةً لمن يشعرون بالتهميش. تقدّم الجماعة هويّة جماعيّة قويّة يندمج فيها الفرد لتقليل الشعور بعدم اليقين الذاتيّ. ومن أسباب هذا البحث في الحالة العربيّة تفكّك الهُويّات الوطنيّة وهشاشتها.
- **البحث عن المغامرة والإثارة:** قد ينجذب بعض الشباب بدافع المغامرة وتحدّي السلطة أو الروتين، لا سيّما في مجتمعات أبويّة سلطويّة تحوّل البحث عن الهُويّة الخاصّة لدى الشباب إلى صراع مع سلطة الأب.

تكمن براعة المجنّدين في أنّهم غالبًا ما يركّزون في البداية على تلبية هذه الاحتياجات النفسيّة والاجتماعيّة (15)، وعلى بناء رابطة عاطفيّة قويّة مع الفرد، قبل البدء بالتلقين الأيديولوجيّ المكثّف. يُستخدم التعاطف وإظهار التفهّم لكسب الثقة، ما يجعل الفرد أكثر قابليّة لتقبّل الأيديولوجيّة لاحقًا (15). وهذا ظاهر في تبادل سوابق الأسماء مثل شيخ فلان، أو وجود شكل من أشكال ما يسمّى "القصف بالحبّ"، هذا التسلسل (بناء العلاقة أوّلًا ثم التلقين) هو سمة كلاسيكيّة في أساليب تجنيد الزمر العقائديّة ويشير إلى أنّ المواجهة الّتي تركّز فقط على تفنيد الأيديولوجيّة تتجاهل الدافع الأوّليّ للانجذاب. وفي حين تلعب عوامل اجتماعيّة واقتصاديّة كالفقر والبطالة دورًا، تشير بعض الأدلّة إلى أنّ عوامل مثل الشعور بالظلم الجماعيّ، والتمييز، وضعف الدولة قد تكون مؤشّرات أقوى للتطرّف العنيف من مجرّد الفقر (16).

2.2. ديناميكيّات الجماعة والتأثير الاجتماعيّ

بمجرّد الانضمام، يصبح الفرد خاضعًا لديناميكيّات الجماعة القويّة الّتي تعمل على ترسيخ الولاء وتعميق الالتزام بالتطرّف:

- **دور الشبكات الاجتماعيّة:** غالبًا ما يحدث التجنيد الأوّليّ من خلال شبكات الأصدقاء والأقارب الموجودة مسبّقًا، ما يسهّل الاندماج وبناء الثقة الأوّليّة (15).
- **اندماج الهُويّة (15) (Identity Fusion):** تعمل الجماعة على دمج الهويّة الفرديّة للعضو بصورة تدريجيّة مع الهُويّة الجماعيّة، ليصبح الانتماء للجماعة هو المصدر الرئيس للمعنى والقيمة والتقدير الذاتيّ. هذا الاندماج يزيد الاستعداد للتضحية من أجل الجماعة ويقلّل الشعور بعدم اليقين.
- **عقليّة "نحن" مقابل "هم":** يُبنى تماسك داخليّ قويّ للجماعة ("نحن") من خلال تحديد عدوّ مشترك ("هم") تجري شيطنته ونزع الشرعيّة عنه، وأحيانًا نزع الإنسانيّة لتبرير العنف ضدّه. يمثل التكفير، كما تمارسه هذه الجماعات، الأداة القصوى لهذا التقسيم الحادّ، ويُلام انحلال المجتمع على كلّ المصائب الّتي تجري عليه من احتلال أو تفكيك أو عنصريّة، وهكذا تُلام الضحيّة (هذه المجتمعات) على مرورها بهذه الظروف، وتكون النتيجة تكفير المجتمع أو تفسيقه على الأقلّ.
- **القيادة السلطويّة:** تتميّز هذه الجماعات غالبًا بوجود قيادة مركزيّة قويّة (دينيّة أو عسكريّة) تحتكر تفسير الأيديولوجيا الدينيّة، وتطالب بالطاعة المطلقة، حتّى لو كانت الهياكل التنظيميّة تبدو لامركزيّة أحيانًا. يظهر هذا في فكرة الولاء والبراء، وفي سيطرة النسخة الوهّابيّة على الفضاء الإسلاميّ العامّ في الإنترنت، ومع كون الإسلام دينًا اجتماعيًّا تصبح التربة أكثر خصوبة للسلطويّة الّتي تحارب التفكير الفرديّ.
- **الضغط نحو الامتثال (Conformity Pressure):** تمارس الجماعة ضغوطًا نفسيّة واجتماعيّة شديدة لضمان

امتثال الأعضاء لمعاييرها وقراراتها، ويجري قمع أيّ نقد أو تساؤل داخليّ بفاعليّة (15). لا سيّما مع وجود أدبيّات تجعل الأفكار المتشكّكة مجرّد وسوسة شيطانيّة، أو قلّة تعبّد، فيلوم الشخص الّذي تراوده الشكوك نفسه مجبرًا، ويمارس عمليّات التربية الذاتيّة طوعًا، من أجل استشعار لذّة موعودة.

- **العزل والافتراس:** تطالب الجماعات المتطرّفة الأفراد المنتمين لها بـ"الخروج في سبيل الله"، وهذا ما يكون بدايةً مجرّد مخيّم أو قيام ليل في إحدى بؤر التطرّف، فلا يكون في مسجد الحيّ، بل في مكان بعيد عن مكانة إقامة الهدف، ويحرصون على فصله عن محيطه (15). هذه الممارسة موجودة لدى كافّة الزمر العقائديّة في كلّ الأديان، وحتّى عند غير الدينيّة منها. وهي الأساس الّتي تقوم عليه عزلة العسكريّ في بداية خدمته لتحويله من مواطن إلى جنديّ.

3. المحور الثاني: تقييم نقديّ لاستراتيجيّات المواجهة التقليديّة

شكّلت الجهود المبذولة لمواجهة الفكر التكفيريّ والجماعات المرتبطة به عنصرًا أساسيًّا في سياسات العديد من الدول والمؤسّسات. وقد تركّزت هذه الجهود غالبًا على مجموعة من الاستراتيجيّات التقليديّة الّتي تنطلق من افتراضات محدّدة حول طبيعة التطرّف ودوافع المنخرطين فيه. ومع ذلك، فإنّ فحص هذه الاستراتيجيّات في ضوء الفهم النفسيّ-الاجتماعيّ لديناميكيّات الجماعات التكفيريّة، كما جرى توضيحه في المحور الأوّل، يكشف عن محدوديّة جوهريّة وقصور منهجيّ يتطلّب مراجعة نقديّة معمّقة. يهدف هذا المحور إلى استعراض هذه الاستراتيجيّات وتقييمها نقديًّا، مبيّنًا فجوة الأدلّة حول فاعليّتها، والأسباب النفسيّة-الاجتماعيّة الكامنة وراء محدوديّتها، والعواقب السلبيّة المحتملة الّتي قد تنجم عنها.

3.1. الحوار والمناصحة والدحض: مراجعة نقديّة

تعدّدت المقاربات التقليديّة، ويمكن إجمال أبرزها فيما يأتي:

- **الحوار:** محاولة إشراك أعضاء الجماعات أو المتعاطفين معهم في نقاش فكريّ أو دينيّ، انطلاقًا من افتراض إمكانيّة الإقناع العقلانيّ وتغيير القناعات من خلال الحجّة والمنطق.
- **المناصحة:** تقديم الإرشاد والنصح الدينيّ، غالبًا في برامج إعادة التأهيل داخل السجون أو للعائدين من القتال، بافتراض أنّ الدافع الدينيّ يمكن إعادة توجيهه نحو الاعتدال.
- **الدحض الفكريّ:** تفنيد الحجج والأسانيد الّتي تعتمد عليها الجماعات التكفيريّة عبر ردود شرعيّة وعقليّة، غالبًا من قبل مؤسّسات دينيّة رسميّة أو علماء، بافتراض أنّ المشكلة تكمن في أخطاء معرفيّة أو سوء فهم للنصوص.
- **السرديّات المضادّة:** نشر محتوى إعلاميّ ورسائل تهدف لتحدّي روايات الجماعات المتطرّفة وتقديم بدائل إيجابيّة، بافتراض أنّ توفير المعلومات الصحيحة أو البديلة سيغيّر المواقف.

تتشارك هذه المقاربات، بدرجات متفاوتة، في تركيزها على المحتوى الأيديولوجيّ أو المعرفيّ كساحة رئيسة للمواجهة.

3.2. إشكاليّة قياس الفاعليّة والفجوة في الأدلّة

على الرغم من انتشار هذه الاستراتيجيّات، تواجه جهود تقييم فاعليّتها تحدّيات كبيرة. "تشير الأدبيّات المتعلّقة بتقييم برامج مكافحة التطرّف العنيف (CVE) إلى فجوة واضحة في الأدلّة التجريبيّة القويّة" (14). يعود ذلك لعدّة أسباب، منها:

- **صعوبات منهجيّة:** كثير من البرامج تفتقر لتصميم تقييميّ صارم، أو معايير واضحة للنجاح، أو مجموعات ضابطة للمقارنة.
- **تحدّيات القياس:** من الصعب قياس التغيّرات العميقة في المعتقدات والقيم بدقّة وموضوعيّة، خاصّة وأنّها قد تعتمد على التقارير الذاتيّة للمشاركين الّتي قد لا تكون صادقةً دائمًا.
- **التركيز على المدى القصير:** أغلب التقييمات، إن وجدت، تركّز على النتائج قصيرة المدى، مع ندرة الدراسات ذات

المدى الطويل الّتي تتّبع المشاركين لسنوات لتقييم استدامة التغيير ومعدّلات الانتكاس.
- **الخلط بين المفاهيم:** عدم التمييز الواضح في التقييم بين مجرّد الانفصال السلوكيّ عن العنف أو الجماعة وبين التغيير الجذريّ في الأيديولوجيا والقيم (نبذ التطرّف).

هذه الفجوة في الأدلّة تجعل من الصعب تأكيد فاعليّة الاستراتيجيّات التقليديّة بصورة قاطعة، كما أنّها لا توفّر أرضيّة صلبة لنقدها من باب فاعليّتها، وتدعو إلى التساؤل حول الأسس الّتي ترتكز عليها. لكنّنا نملك كمّيّة هائلة من الأدلّة القصصيّة لأشخاص جرى تجنيدهم وهم في السجن ضمن هذه البرامج (8)، ما يشكّك بفاعليّتها، لدرجة لا يمكن معها ترجيح فاعليّتها المزعومة على عدم فاعليّتها الظاهرة.

3.3. لماذا تفشل؟ التجاهل المنهجيّ للآليّات النفسيّة-الاجتماعيّة

إنّ القصور الأعمق في هذه الاستراتيجيّات لا يكمن فقط في صعوبة قياس فاعليّتها، بل في تجاهلها المنهجيّ للآليّات النفسيّة والاجتماعيّة القويّة الّتي تشكّل أساس تماسك الجماعات التكفيريّة وسيطرتها على أعضائها، وهي آليّات تشبه إلى حدٍّ كبير تلك الموجودة في الزمر العقائديّة (9). يتجلّى هذا القصور في عدّة نقاط:

- **تجاهل آليّات السيطرة المعرفيّة:** تتعامل هذه الاستراتيجيّات مع الأفراد كفاعلين عقلانيّين مستقلّين، متجاهلةً أنّ الجماعات التكفيريّة، مثل الزمر، تبني "غرفَ صدًى"، وتعزّز "التفكير الجماعيّ". يجري تدريب الأعضاء بصورة منهجيّة على رفض أيّ معلومات أو حجج تتعارض مع عقيدة الجماعة وتشويهها، وحسبان المصادر الخارجيّة معاديةً أو جاهلةً (15). وبالآتي، فإنّ تقديم الحجج المضادّة، مهما كانت قويّة منطقيًّا أو شرعيًّا، غالبًا ما يصطدم بجدار من الرفض المبرمج مسبّقًا.
- **تجاهل آليّات السيطرة العاطفيّة والعلائقيّة:** يقوم ولاء الأعضاء لهذه الجماعات على روابط عاطفيّة قويّة وشعور عميق بالانتماء والهُويّة، وهي احتياجات نفسيّة أساسيّة تلبّيها الجماعة ببراعة (15). إنّ التركيز الحصريّ على المحتوى الفكريّ يتجاهل أنّ هذه الروابط العاطفيّة قد تكون هي العامل الحاسم في مقاومة التغيير، إذ إنّ التخلّي عن الأيديولوجيّة يعني أيضًا التخلّي عن الجماعة الّتي تمثّل المصدر الأساسيّ للدعم العاطفيّ والاجتماعيّ والإحساس بالهُويّة.
- **مشكلة الثقة ومصداقيّة المصدر:** تعمل الجماعات المتطرّفة بجِدّ على تدمير ثقة أعضائها في جميع مصادر السلطة والمعرفة الخارجيّة (17). هذا يعني أنّ الجهات الّتي تقوم عادةً بالحوار أو الدحض أو تقديم السرديّات المضادّة (حكومات، مؤسّسات دينيّة رسميّة، إعلام) هي بطبيعتها جهات فاقدة للمصداقيّة في نظر العضو المتطرّف. إنّ البحث عن "رسل ذوي مصداقيّة" هو اعتراف بهذه المشكلة، لكنّ إيجاد هؤلاء الرسل وتنشيطهم بفاعليّة يمثّل تحدّيًا كبيرًا.
- **مقاومة التنافر المعرفيّ:** تمثّل المواجهة الفكريّة المباشرة تحدّيًا للمعتقدات الأساسيّة المرتبطة بهُويّة الفرد وانتمائه، ما يولّد تنافرًا معرفيًّا حادًّا. وكما يوضّح علم النفس الاجتماعيّ، يميل الأفراد في هذه الحالة إلى تقليل هذا التنافر ليس بتغيير معتقداتهم، بل برفض المعلومات الجديدة، أو التشكيك في مصدرها، أو إعادة تفسيرها، أو التمسّك بالمعتقد الأصليّ بصورة أقوى كآليّة دفاعيّة (18). وهذا يفسّر لماذا قد تؤدّي المناظرات أو محاولات الدحض المباشرة إلى نتائج عكسيّة.

3.4. العواقب غير المقصودة: من ردّ الفعل العكسيّ إلى الوصم

إلى جانب محدوديّة الفاعليّة، قد تحمل الاستراتيجيّات التقليديّة في طيّاتها عواقب سلبيّة غير مقصودة تزيد من تعقيد المشكلة:

- **تأثير ردّ الفعل العكسيّ (Backfire Effect):** قد يؤدّي الإصرار على دحض معتقدات راسخة إلى تقويتها وترسيخها لدى الأفراد المستهدفين، كنوع من الدفاع النفسيّ (4).
- **الوصم والعزلة:** تركيز جهود مكافحة التطرّف بصورة غير متناسبة على مجتمعات معيّنة قد يؤدّي إلى وصمها وخلق شعور بالاضطهاد أو التمييز لديها، ما قد يدفع البعض نحو الجماعات المتطرّفة الّتي تقدّم لهم شعورًا بالهُويّة المدافعة والمظلوميّة المشتركة.
- **تسييس القضايا الاجتماعيّة:** ربط برامج مكافحة التطرّف ببرامج التنمية أو الدعم الاجتماعيّ قد يثير شكوك

المجتمعات حول الأهداف الحقيقيّة لهذه البرامج، ويُنظر إليها كأدوات للسيطرة أو المراقبة، ما يقوّض الثقة ويفشل البرنامجين معًا.

- **التركيز على الانفصال السلوكيّ دون تغيير معرفيّ:** قد تنجح بعض البرامج في إقناع أفراد بالتوقّف عن ممارسة العنف أو ترك التنظيم (Disengagement)، لكن دون معالجة الأيديولوجيا الأساسيّة أو آليّات التبعيّة النفسيّة والاجتماعيّة الشبيهة بالحالة الزمريّة. هذا التغيير السلوكيّ السطحيّ لا يمثّل "نبذ تطرّف" (Deradicalization) حقيقيًّا، ويترك الفرد عرضة للعودة للتطرّف أو الانضمام لجماعات أخرى عند تغيّر الظروف أو تعرّضه لمحفّزات جديدة (11).

إنّ هذه المحدوديّات والعواقب المحتملة للاستراتيجيّات التقليديّة تؤكّد الحاجة الماسّة لـ"تحديث" جذريّ في مقاربة مواجهة التكفير، يتجاوز التركيز على المحتوى الفكريّ إلى فهم ومعالجة الآليّات النفسيّة والاجتماعيّة العميقة الّتي تحرّك هذه الظاهرة.

4. المحور الثالث: محدوديّة المواجهات الفكريّة من منظور علم النفس الاجتماعيّ

يكشف تحليل استراتيجيّات المواجهة التقليديّة، كما ورد في المحور السابق، عن محدوديّة واضحة في فاعليّتها العمليّة. يتجاوز هذا المحور رصد هذه المحدوديّة، إلى كونه يتعمّق في تفسير أسبابها الجذريّة بالاعتماد على نظريّات ومفاهيم أساسيّة في علم النفس الاجتماعيّ. يساعد هذا المنظور على فهم لماذا تبدو الحجج المنطقيّة أو الدينيّة المضادّة، مهما بلغت قوّتها، غير كافية في كثير من الأحيان لتغيير قناعات الأفراد المنخرطين بعمق في جماعات مغلقة فعليًّا أو مقفلة أيديولوجيًّا كالجماعات التكفيريّة، وكيف تعمل الآليّات النفسيّة كدفاعات قويّة ضدّ محاولات الإقناع الخارجيّة.

4.1. التنافر المعرفيّ كآليّة لمقاومة التغيير

تعدّ نظريّة التنافر المعرفيّ (Cognitive Dissonance Theory) لليون فستنجر حجر الزاوية في فهم مقاومة تغيير المعتقدات الراسخة (19). تشير النظريّة إلى أنّ الأفراد يسعون لتجنّب حالة الانزعاج النفسيّ الّتي تنشأ عند وجود تعارض بين معتقداتهم، أو بين معتقداتهم وسلوكيّاتهم. عندما يواجه عضو في جماعة تكفيريّة معلومات أو حججًا تتعارض بصورة صارخة مع أيديولوجيّة الجماعة، الّتي تمثّل جزءًا أساسيًّا من هُويّته الشخصيّة والجماعيّة، ينشأ لديه تنافر معرفيّ حادّ. وللتخفيف من هذا التنافر، يلجأ الفرد غالبًا إلى آليّات دفاعيّة نفسيّة بدلًا من تغيير معتقده الأساسيّ. تشمل هذه الآليّات رفض مصدر المعلومات والتشكيك في نواياه (4)، والتقليل من أهمّيّة التناقض المكتشف، والبحث عن دعم اجتماعيّ داخل الجماعة لتعزيز المعتقدات القائمة، وإعادة تفسير أو تشويه المعلومات الجديدة لتتناسب مع الإطار الأيديولوجيّ للجماعة (18)، واستخدام تبريرات جاهزة تقدّمها الجماعة لسلوكيّاتها المتناقضة (15). كما أنّ التنافر المعرفيّ قد يكون دافعًا للانضمام للجماعات الجهاديّة، وذلك لتسوية الصراع بين رؤية الظلم وعدم الفعل، ولكنه أيضًا قد يؤدّي، عند وصوله لمستوًى حادّ جدًّا كالصراع النفسيّ عند رؤية العضو قتالَ الجماعة للمسلمين، بين هذا الفعل والهدف الأصليّ المتمثّل بحمايتهم، إلى الانسحاب. ومع ذلك، في سياق المواجهة الفكريّة الخارجيّة، فإنّ النتيجة الأكثر شيوعًا هي أنّ التنافر يدفع الفرد للتمسّك بموقفه الأصليّ بقوّة أكبر (4).

4.2. دور الهُويّة الاجتماعيّة وديناميكيّات الجماعة المغلقة

تقدّم نظرية الهوية الاجتماعيّة (Social Identity Theory - SIT) ونظريّة التصنيف الذاتيّ (Self-Categorization Theory) تفسيرًا إضافيًّا لمقاومة التغيير (20). تؤكّد هاتان النظريّتان أنّ جزءًا مهمًّا من مفهوم الفرد عن ذاته مستمدّ من انتمائه لجماعات معيّنة. في الجماعات المتطرّفة ذات الانغلاق الشديد، تصبح الهُويّة الجماعيّة هي الهويّة المهيمنة، ويجري تعريف الذات أساسًا من خلال التمايز الحادّ بين "نحن" (الجماعة المختارة/المؤمنة) و"هم" (الآخرون/الأعداء/الكفار). أيّ تهديد لأيديولوجيّة الجماعة أو مكانتها يُنظر إليه تلقائيًّا على أنّه تهديد مباشر للهويّة الشخصيّة للفرد ولقيمته الذاتيّة. تعمل الجماعة على تلبية احتياجات نفسيّة محوريّة كالانتماء والمعنى والتقدير والتميّز الإيجابيّ (16). لذلك، فإنّ الدفاع عن عقيدة

الجماعة يصبح دفاعًا عن الذات، وتقييم الحجج الخارجيّة لا يجري بموضوعيّة، بل من خلال منظور حماية الهويّة الجماعيّة المهدَّدة.

وترتبط بهذا نظريّة هُويّة-اللّايقين (20) (Uncertainty-Identity Theory) الّتي تفترض أنّ حالة عدم اليقين (بشأن الذات، المستقبل، العالم) هي دافع قويّ للانضمام لجماعات تقدّم هويّات واضحة ونظمًا عقائديّةً مغلقة توفّر إجابات يقينيّة بسيطة. الأيديولوجيّات المتطرّفة، برؤيتها الثنائيّة للعالم وحلولها الجذريّة، تلبّي هذه الحاجة لليقين. بالآتي، فإنّ المواجهات الفكريّة الّتي تثير الشكوك وتطرح التعقيد تتعارض مع هذه الوظيفة النفسيّة للأيديولوجيّة، ما يجعلها مرفوضة. وقد ربطت دراسات حديثة بين الشعور بالتهديد الثقافيّ وزيادة "الحاجة للإغلاق المعرفيّ - Need for Cognitive Closure (NFC)"22)، وهذه الحاجة بدورها تتنبأ بالميل نحو التطرّف العنيف (22).

4.3. التفكير الجماعيّ وحصانة غرف الصدى

تخلق البيئة المغلقة للجماعات التكفيريّة، سواءً أكانت ماديّة أو رقميّة، ما يعرف بـ"التفكير الجماعيّ" ((Groupthink 21))، وهو نمط من التفكير يسعى فيه أعضاء المجموعة للتوصّل إلى إجماع وتجنّب الصراع الداخليّ على حساب التقييم النقديّ للأفكار والبدائل. يجري قمع الآراء المخالفة أو التشكيك الداخليّ بفاعليّة. تعمل "غرف الصدى" (Echo Chambers) على تعزيز هذا التفكير الجماعيّ عن طريق عزل الأعضاء عن وجهات النظر المتعارضة وتكرار روايات الجماعة الخاصّة وتضخيمها. والأهمّ من ذلك، أنّها لا تكتفي بالعزل، بل تعمل بنشاط على تشويه سمعة المصادر الخارجيّة للسلطة والمعرفة وتقويض مصداقيّتها. في هذه البيئة المحصّنة معرفيًّا، تفقد الحجج والمواجهات الفكريّة الخارجيّة فاعليّتها لأنّها إمّا لا تصل إلى الأعضاء، أو يجري رفضها وتفنيدها مسبّقًا بناءً على التوجيهات الداخليّة للجماعة أو آليّات التشكيك الممنهج في المصادر (21).

4.4. أولويّة الوظائف النفسيّة-الاجتماعيّة على المحتوى الفكريّ

في ضوء النظريّات السابقة، يمكن القول إنّ الأفراد يتبنّون الأيديولوجيّات المتطرّفة ويتمسّكون بها ليس بالضرورة بسبب قوّتها المنطقيّة أو صحّتها الشرعيّة، بل بسبب الوظائف النفسيّة والاجتماعيّة المهمّة الّتي تؤدّيها لهم (16). هذه الوظائف تشمل تقليل التنافر المعرفيّ، وتوفير هُويّة جماعيّة قويّة ومصدر للمعنى والتقدير، وتقليل الشعور بعدم اليقين، وتلبية الحاجة الماسّة للانتماء والدعم الاجتماعيّ. طالما أنّ الأيديولوجيّة والجماعة تخدمان هذه الوظائف النفسيّة-الاجتماعيّة الحيويّة للفرد، فإنّه سيقاوم بشدّة أيّ محاولة لتغييرها، حتّى لو قُدِّمت له أدلّة قويّة على بطلانها الفكريّ أو خطورتها العمليّة. إنّ استهداف المحتوى الفكريّ للأيديولوجيّة بصورة مباشرة غالبًا ما يفشل لأنّه لا يعالج هذه الوظائف النفسيّة-الاجتماعيّة الأساسيّة الّتي تمثّل السبب الحقيقيّ للتمسّك بها.

تُفسّر هذه الآليّات النفسيّة-الاجتماعيّة مُجتمعةً المقاومةَ العميقة الّتي تبديها الجماعات التكفيريّة، وأعضاؤها تجاه محاولات المواجهة الفكريّة التقليديّة، وتؤكّد على ضرورة تطوير استراتيجيّات بديلة تركّز على تفكيك هذه الآليّات النفسيّة والاجتماعيّة نفسها، بدلًا من الاكتفاء بالجدل حول المحتوى الأيديولوجيّ.

5. المحور الرابع: أبعاد "الزمَريّة" في الجماعات التكفيريّة: إطار مقارن

بعد استعراض البنية النفسيّة-الاجتماعيّة للجماعات التكفيريّة وتقييم محدوديّة استراتيجيّات المواجهة التقليديّة والجدل الفكريّ المباشر، يهدف هذا المحور إلى تقديم الإطار النظريّ البديل بصورة أكثر منهجيّة. يجري ذلك عبر إجراء مقارنة واضحة بين آليّات عمل الجماعات التكفيريّة المنظّمة ونموذج "الزمرة العقائديّة" (Cult) أو "الجماعة ذات السيطرة العالية" (High-Control Group) كما هو موثّق في الأدبيّات المتخصّصة (6). تبرز هذه المقارنة التشابهات الجوهريّة في طرق العمل النفسيّة والاجتماعيّة، ما يدعم الأطروحة المركزيّة للبحث ويؤسّس منطقيًّا للحاجة إلى "تحديث" استراتيجيّات المواجهة.

5.1. تعريف "الزمرة العقائديّة" أو الجماعة ذات السيطرة العالية

لا يشير مصطلح "زمرة عقائديّة" أو "جماعة ذات سيطرة عالية" في الأدبيّات السوسيولوجيّة والنفسيّة المعاصرة (7) بالضرورة إلى محتوى عقائديّ معيّن (قد يكون دينيًّا، سياسيًّا، علاجيًّا، تجاريًّا، وغير ذلك)، بل يصف مجموعة من الخصائص والسمات السلوكيّة والتنظيميّة المشتركة. من أهمّ هذه الخصائص:

- **الطلب العالي والسيطرة الشاملة:** تفرض الجماعة متطلّبات مكثّفة على وقت الأعضاء ومواردهم وولائهم، وتسعى للسيطرة على مختلف جوانب حياتهم الشخصيّة (السلوك، الأفكار، العواطف، العلاقات، المعلومات).
- **التلاعب والخداع:** استخدام أساليب خادعة في التجنيد وتوظيف تقنيّات تلاعب نفسيّ ممنهج للحفاظ على ولاء الأعضاء وإضعاف قدرتهم على التفكير المستقلّ.
- **العزلة:** العمل على عزل الأعضاء تدريجيًّا عن شبكات الدعم الاجتماعيّ والمعرفيّ الخارجيّة (العائلة، الأصدقاء، مصادر المعلومات المستقلّة) بهدف خلق بيئة مغلقة يسهل التحكّم فيها.
- **القيادة السلطويّة/الكاريزميّة:** وجود قائد أو نخبة قياديّة تتمتّع بسلطة مطلقة أو شبه مطلقة، لا تخضع للمساءلة، وتطالب بالطاعة العمياء، وغالبًا ما تكون محاطة بهالة من القداسة أو الكاريزما.
- **النظرة الشموليّة للعالم:** تقديم نظام عقائديّ مغلق ومبسّط يقدّم تفسيرًا شاملًا للعالم، ويقسّمه بحدّة إلى "نحن" (الجماعة المختارة أو الصحيحة) و"هم" (العالم الخارجيّ الفاسد أو المعادي).
- **احتماليّة الضرر (6):** تسبّب هذه الجماعات غالبًا أضرارًا نفسيّة أو اجتماعيّة أو ماليّة أو جسديّة لأعضائها أو لعائلاتهم أو للمجتمع الأوسع.

من المهمّ التأكيد أنّ استخدام هذا الإطار التحليليّ هنا ليس بهدف الوصم، بل بهدف المقارنة العلميّة لآليّات العمل النفسيّة والاجتماعيّة المشتركة، بغضّ النظر عن التسميات.

5.2. أوجه التشابه المنهجيّة في الخصائص وآليّات السيطرة

عند تطبيق هذه الخصائص على الجماعات التكفيريّة المنظّمة، كما جرى تحليلها في المحور الأوّل وبناءً على الأدبيّات المتوفّرة، نجد تطابقًا لافتًا في آليّات العمل الجوهريّة (2)، يتّضح ذلك في:

- **القيادة السلطويّة:** وجود قادة يتمتّعون بسلطة دينيّة أو عسكريّة مطلقة، يحتكرون تفسير الأيديولوجيا ويطالبون بالولاء والطاعة المطلقة.
- **الخداع في التجنيد (15):** التركيز الأوّليّ على استغلال الاحتياجات العاطفيّة والاجتماعيّة ونقاط الضعف لدى المستهدفين، مع إخفاء الطبيعة الحقيقيّة للجماعة ومتطلّباتها النهائيّة في كثير من الأحيان.
- **العزلة والسيطرة البيئيّة (15):** تشجيع الأعضاء أو إجبارهم على الانقطاع عن محيطهم الاجتماعيّ السابق (العائلة، المجتمع "الجاهليّ")، والتحكّم الصارم في مصادر المعلومات الّتي يتعرّضون لها، وخلق بيئة مغلقة (ماديّة أو افتراضيّة) تعتمد فيها حياة الفرد كلّيًّا على الجماعة.
- **السيطرة على المعلومات (15):** توجيه الأعضاء بصورة حصريّة تقريبًا إلى دعاية الجماعة ومنشوراتها، ومنع التعرّض لوجهات نظر مخالفة أو التشكيك الممنهج فيها.
- **التلاعب العاطفيّ (15):** استخدام مزيج من "القصف العاطفيّ" الأوّليّ لكسب الولاء، ثمّ التلاعب بمشاعر الخوف (من العقاب أو العالم الخارجيّ)، والذنب (لضمان الامتثال)، والفخر (بالانتماء للجماعة المختارة)، والكراهية (تجاه "الأعداء").
- **إصلاح الفكر والسيطرة المعرفيّة (15):** قمع التفكير النقديّ والتساؤل، وفرض تفسير وحيد ومغلق للعقيدة، واستخدام لغة خاصّة وتقنيّات "إيقاف الفكر" لمنع الأفكار المعارضة.
- **الطلب العالي والسيطرة السلوكيّة:** فرض قواعد سلوكيّة صارمة تنظّم تفاصيل حياة الأعضاء اليوميّة، والمطالبة بتكريس الوقت والموارد لخدمة أهداف الجماعة.
- **عقليّة "نحن مقابل هم":** بناء هويّة جماعيّة قويّة من خلال التقسيم الحادّ للعالم وشيطنة "الآخر" المختلف. يعتبر التكفير في هذا السياق الأداة الأكثر تطرّفًا لتحقيق هذا الفصل وتبرير العداء أو العنف ضدّ من هم خارج الجماعة.

إنّ هذا التشابه العميق في آليّات السيطرة والتلاعب النفسيّ والاجتماعيّ هو الّذي يبرّر صلاحية تطبيق الأدوات التحليليّة واستراتيجيّات التدخّل المستعارة من مجال دراسات الزمر العقائديّة على ظاهرة الجماعات التكفيريّة. يمكن القول إنّ ممارسة

التكفير بالصورة الّتي تتبنّاها هذه الجماعات يتجاوز كونه حكمًا لاهوتيًّا ليصبح بحدّ ذاته آليّة سيطرة زمريّة جوهريّة، تمنح القيادة السلطة النهائيّة لتعريف الواقع ورسم حدود الانتماء والعداء. يوفّر هذا الإطار المقارن أساسًا نظريًّا قويًّا يدعم الأطروحة المركزيّة للبحث، ويبرّر الحاجة الملحّة لـ"تحديث" استراتيجيّات المواجهة لتتجاوز المقاربات التقليديّة وتركّز على تفكيك هذه الآليّات النفسيّة والاجتماعيّة المعقّدة.

6. المحور الخامس: التجسّد الرقميّ: التكفير كظاهرة زمريّة إلكترونيّة

أحدثت الثورة الرقميّة، وخصوصًا انتشار الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعيّ، تحوّلًا جذريًّا في طرق عمل الجماعات المتطرّفة، بما فيها الجماعات التكفيريّة الّتي تتبنّى آليّات عمل شبيهة بالزمر العقائديّة. لم يعد الانغلاق والعزلة والتجنيد والسيطرة تقتصر على الحيّز المادّيّ، بل امتدّت وتكيّفت لتستغلّ الإمكانيّات الهائلة الّتي يوفّرها الفضاء الرقميّ. يهدف هذا المحور إلى تحليل كيفيّة تجسّد ديناميكيّات "الزمريّة" في البيئة الإلكترونيّة، وكيف استغلّت الجماعات التكفيريّة هذه البيئة لتوسيع نطاق تأثيرها وتطوير آليّات سيطرتها.

6.1. الإنترنت كمُسرّع ومُمكّن للتطرّف الزمريّ

وفّر الإنترنت ووسائل التواصل أدوات قويّة أصبحت بمثابة مضخّم وممكّن لعمل الجماعات التكفيريّة (15)، وذلك من خلال:

- **نشر الدعاية على نطاق واسع:** سهولة إنتاج ونشر المحتوى المتطرّف (نصوص، صور، فيديوهات، أناشيد) بتكلفة منخفضة والوصول به إلى جمهور عالميّ. غالبًا ما يجري تصميم هذا المحتوى بصورة احترافيّة وجذّابة لاستقطاب فئات معيّنة، وخاصّة الشباب.
- **تسهيل التجنيد والاستقطاب:** القدرة على تحديد الأفراد المحتملين واستهدافهم بناءً على اهتماماتهم ونشاطهم الرقميّ، والتواصل معهم بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وتوجيههم خلال عمليّة الانضمام الأيديولوجيّ أو التنظيميّ.
- **تسريع عمليّة التطرّف:** توفير وصول سهل ومكثّف للموادّ الأيديولوجيّة المتطرّفة والمرجعيّة للجماعة، ما قد يختصر الوقت اللازم لتبنّي الأفكار المتطرّفة والانتقال نحو مراحل أكثر تقدّمًا في الالتزام.
- **الحفاظ على تماسك الجماعة الافتراضيّة:** تمكين الأعضاء والمناصرين المشتّتين جغرافيًّا من التواصل المستمرّ، وتبادل المعلومات والأخبار، وتعزيز الشعور بالانتماء لهُويّة جماعيّة مشتركة تتجاوز الحدود المادّيّة.
- **التخطيط والتنسيق الآمن:** استخدام منصّات التواصل، بما فيها التطبيقات المشفّرة، لتنسيق الأنشطة، وتوزيع المهامّ، والتخطيط للعمليّات بصورة يصعب رصدها أمنيًّا.

6.2. آليّات التجنيد والتلقين والسيطرة عبر الإنترنت

تستخدم الجماعات التكفيريّة تقنيّات تلاعب نفسيّ واجتماعيّ عبر الإنترنت تحاكي بصورة كبيرة آليّات التجنيد والتلقين الزمريّة التقليديّة، ولكن مع تكييفها للبيئة الرقميّة:

- **تحديد الأهداف ورصدها:** البحث النشط عن أفراد يبدون اهتمامًا بالقضايا الّتي تثيرها الجماعة أو يعبّرون عن مظالم أو مشاعر ضعف أو اغتراب عبر نشاطهم في وسائل التواصل الاجتماعيّ والمنتديات وغرف الدردشة.
- **الدعاية الموجّهة والجذّابة:** استخدام محتوى مصمّم بعناية (فيديوهات مؤثّرة، ألعاب فيديو تحاكي القتال، أناشيد حماسيّة، قصص بطوليّة) للتأثير على مشاعر الشباب وجذب انتباههم نحو عالم الجماعة.
- **بناء العلاقة وكسب الثقة:** يبدأ المجنّدون غالبًا بالتواصل الفرديّ والخاصّ مع الشخص المستهدف، وإظهار التعاطف والتفهّم لمشاكله أو مظالمه، وبناء علاقة شخصيّة لكسب ثقته بصورة تدريجيّة.
- **العزلة الرقميّة:** تشجيع الهدف على عدم مشاركة هذه المحادثات مع الآخرين (العائلة، الأصدقاء)، ونقله إلى منصّات تواصل أكثر خصوصيّة أو سرّيّة، ما يعزله تدريجيًّا عن شبكات الدعم والتأثير الخارجيّة ويحصره ضمن دائرة تأثير الجماعة.
- **التلقين التدريجيّ والموجّه:** تقديم الأفكار الأيديولوجيّة خطوة بخطوة، بدءًا من التركيز على المظالم المشتركة أو القضايا العاطفيّة، ثمّ الانتقال إلى التفسيرات الدينيّة الخاصّة بالجماعة، وصولًا إلى تبرير العنف أو التكفير. يجري ذلك غالبًا من خلال مشاركة روابط لمحتوى محدّد (فيديوهات، مقالات، تسجيلات صوتيّة).

- **التصعيد في الالتزام (تقنية قدم في الباب):** طلب التزامات بسيطة في البداية (مثل الإعجاب بصفحة، أو مشاركة منشور، أو الانضمام لمجموعة مغلقة)، ثمّ التصعيد التدريجيّ نحو طلب التزامات أكبر (التبرّع، أداء مهامّ محدّدة، إعلان الولاء).

تمثّل هذه التكتيكات الرقميّة ترجمة مباشرة لآليّات التلاعب الزمريّة الكلاسيكيّة، مثل "القصف العاطفيّ" (في مرحلة بناء الثقة والعلاقة)، و"السيطرة البيئيّة" (عبر العزلة الرقميّة والتحكّم بتدفّق المعلومات)، و"التدرّج في الالتزام". يتغيّر الوسيط، لكنّ مبادئ التأثير النفسيّ والاجتماعيّ المستخدمة تظلّ متشابهة إلى حدٍّ كبير.

6.3. غرف الصدى الرقميّة وتحدّي اختراق الثقة

من المهمّ التمييز بين مفهومي "الفقاعات المعرفيّة" (Epistemic Bubbles) و"غرف الصدى"Echo Chambers 23)) لوصف البيئات المعلوماتيّة المغلقة عبر الإنترنت. بينما تنشأ الفقاعات غالبًا نتيجة الإغفال غير المقصود للأصوات الأخرى ويمكن كسرها نسبيًّا بتعريض أفرادها لوجهات نظر مختلفة، فإنّ غرف الصدى هي بنى اجتماعيّة-معرفيّة يجري فيها استبعاد وتشويه سمعة المصادر الخارجيّة بصورة نشطة وممنهجة. لا يقتصر الأمر على عدم سماع الرأي الآخر، بل يجري تعليم الأعضاء عدم الثقة فيه بصورة جذريّة والاعتماد الكلّيّ على المصادر الداخليّة للجماعة. تشير الدلائل إلى أنّ الفضاءات الرقميّة الّتي تنشئها الجماعات التكفيريّة تعمل غالبًا كـ"غرف صدى" محكمة الإغلاق. فهي لا تكتفي بنشر دعايتها، بل تكرّس جهدًا كبيرًا لتقويض مصداقيّة وشيطنة أيّ مصدر خارجيّ للمعلومات أو السلطة المعرفيّة (الإعلام، العلماء، الحكومات). هذا التلاعب الممنهج بالثقة يتوافق تمامًا مع تكتيكات العزل وبناء الولاء المطلق المستخدمة في الزمر العقائديّة. إنّ وجود هذه الغرف المحصّنة يجعل استراتيجيّات المواجهة القائمة على مجرّد نشر "حقائق مضادّة" أو "سرديّات بديلة" غير فعّالة إلى حدٍّ كبير، لأنّ الجمهور المستهدف مبرمج مسبّقًا على رفض المصدر الّذي تأتي منه هذه المعلومات.

6.4. البيئات الزمريّة الإلكترونيّة كمساحات للتطرّف

يقدّم مفهوم "البيئات الزمريّة الإلكترونيّة" (Online Cultic Milieus) منظورًا أوسع لفهم عمليّات التطرّف عبر الإنترنت. يشير هذا المفهوم إلى فضاءات اجتماعيّة رقميّة مرنة وغير متجانسة، تتداخل فيها وتناقش مجموعة واسعة من المعتقدات والممارسات الّتي تعتبر "هامشيّة" أو "بديلة" أو "منحرفة" عن التيّار السائد (مثل نظريّات المؤامرة، العلوم الزائفة، الروحانيّات غير التقليديّة، الأيديولوجيّات السياسيّة المتطرّفة). لا تتميّز هذه البيئات بالضرورة بوجود أيديولوجيّة واحدة مهيمنة، بل تعمل كسوق مفتوحة للأفكار غير التقليديّة. يمكن للجماعات التكفيريّة أن تستغلّ هذه البيئات لاصطياد وتجنيد أفراد مهيّئين نفسيًّا لعدم الثقة في الروايات الرسميّة أو السائدة، ومتقبّلين للأفكار "الموصومة" أو الخارجة عن المألوف. قد لا يكون الانضمام لجماعة تكفيريّة دائمًا نتيجة بحث مباشر عنها، بل قد يكون محطّة في رحلة أوسع للفرد داخل هذه البيئات الزمريّة الإلكترونيّة حيث تتقاطع الأفكار المتطرّفة والمتنوّعة. يشير هذا إلى أنّ جهود الوقاية قد تحتاج إلى فهم أعمق لهذه البيئات التحتيّة للتطرّف وعدم الاقتصار على مراقبة المحتوى التكفيريّ الصريح.

إنّ فهم هذه الأبعاد الرقميّة -- آليّات التجنيد والتلقين عبر الإنترنت، ودور غرف الصدى في تحصين العقول، واستغلال البيئات الزمريّة الإلكترونيّة -- هو أمر ضروريّ لتحديث استراتيجيّات المواجهة لتصبح قادرة على التعامل بفاعليّة مع تجسّدات التطرّف الزمريّ في العصر الرقميّ.

7. المحور السادس: نحو تدخّلات مستنيرة نفسيًّا واجتماعيًّا: المبادئ والممارسات

إنّ الإقرار بالأبعاد النفسيّة-الاجتماعيّة والحالة الزمريّة لظاهرة التكفير المنظّم، وفهم محدوديّة المقاربات التقليديّة، يستلزم بالضرورة تحوّلًا نوعيًّا في استراتيجيّات المواجهة والتدخّل. بدلًا من التركيز الحصريّ على دحض المحتوى الأيديولوجيّ، يجب أن تتّجه الجهود نحو فهم وتفكيك العمليّات النفسيّة والاجتماعيّة الّتي تمكّن هذه الجماعات من تجنيد الأعضاء والسيطرة عليهم والحفاظ على ولائهم. يمثّل هذا التحوّل جزءًا أساسيًّا من "تحديث" المواجهة، ويتطلّب تبنّي مبادئ وممارسات مستنيرة بالرؤى العميقة لعلم نفس الجماعات والمجالات ذات الصلة.

7.1 المبادئ التوجيهيّة المستمدّة من علم نفس الجماعات

يمكن استخلاص مجموعة من المبادئ الأساسيّة لتوجيه التدخّلات الفعّالة من الأدبيّات المتعلّقة بعلم نفس الجماعات ودراسات الزمر العقائديّة:

- **كسر العزلة وإعادة الاتّصال:** العمل بصورة منهجيّة على إعادة ربط الفرد بشبكات الدعم الإيجابيّة خارج الجماعة (العائلة، الأصدقاء المؤثّرون إيجابًا، المجتمع الأوسع)، وتقويض السيطرة البيئيّة (المادّيّة والافتراضيّة) الّتي تفرضها الجماعة لعزل أعضائها.
- **تقويض آليّات السيطرة والتلاعب:** فضح وكشف تقنيّات التلاعب النفسيّ والاجتماعيّ الّتي تستخدمها الجماعة (مثل الخداع، استغلال المشاعر، السيطرة على المعلومات)، ومساعدة الفرد على تطوير تفكير نقديّ تجاه ديناميكيّات الجماعة الداخليّة وسلطة القائد المطلقة.
- **تفكيك الهويّة الجماعيّة المهيمنة:** مساعدة الفرد على استكشاف وتطوير هويّات بديلة إيجابيّة ومتعدّدة (شخصيّة، مهنيّة، أسريّة، وطنيّة) خارج الإطار الضيّق للجماعة المتطرّفة، وتلبية حاجته الأساسيّة للهويّة والانتماء بطرق بنّاءة وغير عنيفة.
- **معالجة المظالم (الحقيقيّة والمتصوّرة):** الاعتراف بالمظالم الشخصيّة أو الجماعيّة الّتي قد جرى استغلالها في عمليّة التجنيد، والعمل على معالجتها إن أمكن، أو مساعدة الفرد على الأقلّ على إعادة تأطير فهمه لهذه المظالم وسبل التعامل معها بطرق أقلّ تطرّفًا.
- **توفير بدائل إيجابيّة ومسارات للخروج:** تقديم فرص حقيقيّة وملموسة للاندماج الاجتماعيّ البنّاء، واستكمال التعليم، واكتساب مهارات مهنيّة، والحصول على عمل، والمشاركة الإيجابيّة في المجتمع، ما يوفّر للفرد بديلًا جذّابًا وواقعيًّا للانتماء للجماعة المتطرّفة.

7.2. تكييف نماذج التدخّل: من إرشاد الخروج إلى العلاج النفسيّ

لتطبيق هذه المبادئ بفاعليّة، يمكن تكييف والإفادة من تقنيّات وأساليب أثبتت جدواها في مجالات مشابهة تتعامل مع جماعات مغلقة أو مشكلات سلوكيّة معقّدة:

- **إرشاد الخروج من الزمر العقائديّة (Cult Exit Counseling/Therapy)** (15): يقدّم هذا المجال خبرات قيّمة يمكن تكييفها، وتشمل تقنيّات مثل: التثقيف النفسيّ حول آليّات التلاعب والسيطرة لمساعدة الفرد على فهم تجربته؛ اختبار الواقع لمقارنة معتقدات الجماعة بالأدلّة الخارجيّة؛ اعتماد الرعاية المستنيرة بالصدمة (Trauma-Informed Care) للتعامل مع أيّ صدمات نفسيّة؛ دعم الفرد لاستعادة استقلاليّته في التفكير واتّخاذ القرار؛ ومساعدته على إدارة التنافر المعرفيّ والمشاعر المتضاربة أثناء عمليّة الخروج. يتطلّب ذلك معالجين ومستشارين مؤهّلين ومدرّبين تدريبًا خاصًّا.
- **برامج الانفصال عن عصابات الشوارع:** تقدّم تجارب هذه البرامج دروسًا حول أهمّيّة فهم عوامل الدفع والجذب للانضمام والمغادرة، والدور الحاسم للدعم الأسريّ والمجتمعيّ، وضرورة توفير بدائل ملموسة في التعليم والتوظيف كجزء من عمليّة إعادة التأهيل.
- **المقاربات العلاجيّة النفسيّة:** يمكن استخدام مجموعة متنوّعة من أساليب العلاج النفسيّ لمعالجة المشكلات النفسيّة الكامنة الّتي قد تساهم في قابليّة الفرد للتطرّف أو تعيق عمليّة إعادة تأهيله، مثل: العلاج المعرفيّ السلوكيّ ((CBT 26))؛ لإعادة هيكلة أنماط التفكير والسلوك غير التكيّفيّة؛ العلاج القائم على التعقّل (27) (MBT)؛ لتحسين فهم الحالات العقليّة للذات والآخرين؛ علاجات الصدمات النفسيّة المتخصّصة؛ والعلاج الأسريّ لإشراك الأسرة كعنصر

دعم أساسيّ.

من المهمّ التأكيد على أنّ التدخّلات الفعّالة غالبًا ما تتطلّب نهجًا "مرحليًّا" يعكس طبيعة عمليّة التورّط والانسحاب من الجماعات الشبيهة بالزمر. تبدأ المراحل الأولى عادةً ببناء الثقة وتلبية الاحتياجات الأساسيّة، تليها مرحلة العمل على تفكيك آليّات التلاعب وإعادة الهيكلة المعرفيّة ومعالجة الصدمات، وصولًا إلى مرحلة دعم إعادة الاندماج الاجتماعيّ وتطوير خطط لمنع الانتكاس. البدء بنقاش أيديولوجيّ مباشر أو مواجهة فكريّة في المراحل الأولى غالبًا ما يكون غير منتج ومحكومًا عليه بالفشل.

7.3. تجاوز الانفصال السلوكيّ: نحو تغيير معرفيّ مستديم

يجب التأكيد مجدّدًا على الفرق الجوهريّ بين مجرّد "الانفصال" السلوكيّ (Disengagement) - أي التوقّف عن ممارسة العنف أو ترك التنظيم - وبين "نبذ التطرّف"28) Deradicalization) الّذي يمثّل تغييرًا أعمق وأكثر استدامة في المعتقدات والقيم والمواقف. تهدف المقاربات النفسيّة-الاجتماعيّة المستنيرة إلى تحقيق هذا التغيير الأعمق (نبذ التطرّف) من خلال معالجة الأسباب النفسيّة والاجتماعيّة الجذريّة للانخراط، وتفكيك التشوّهات المعرفيّة، ومعالجة التبعيّات العاطفيّة والعلائقيّة الشبيهة بالزمريّة.

قد يحدث الانفصال السلوكيّ لأسباب ظرفيّة أو عمليّة (مثل الإرهاق، خيبة الأمل، الضغط الأمنيّ، الاعتقال)، لكن إذا لم تجرِ معالجة البنية النفسيّة الأساسيّة والارتباط العاطفيّ والفكريّ بالجماعة ومنظومتها، يظلّ خطر العودة إلى التطرّف أو البحث عن جماعة متطرّفة بديلة قائمًا بقوّة. البرامج الّتي تكتفي بتحقيق تغيير سلوكيّ ظاهريّ دون معالجة هذه الأبعاد العميقة تظلّ غير مكتملة، ليس فقط من منظور نفسيّ، بل قد تكون كذلك من منظور أمنيّ على المدى الطويل.

إنّ تبنّي هذه المبادئ وتكييف هذه الممارسات يوفّر مسارًا أكثر واقعيّة وفاعليّة للتدخّل، لأنّه يتعامل بصورة مباشرة مع الآليّات النفسيّة والاجتماعيّة الّتي تمثّل المحرّك الحقيقيّ لاستمرار ظاهرة التكفير المنظّم وتماسك جماعاتها.

8. المحور السابع: الاستراتيجيّات الوقائيّة وغير المباشرة

إلى جانب استراتيجيّات التدخّل الموجّهة للأفراد المنخرطين بالفعل في الجماعات التكفيريّة، تكتسب المقاربات الوقائيّة والأخرى غير المباشرة أهمّيّة متزايدة في إطار "تحديث المواجهة". تهدف هذه الاستراتيجيّات إلى بناء مناعة مجتمعيّة ضدّ الفكر المتطرّف وتقويض جاذبيّته من الأساس، وفضح أساليب الزمَر في السيطرة والتلاعب، مع تجنّب أساليب المواجهة المباشرة الّتي قد تثير آليّات الدفاع النفسيّ أو تأتي بنتائج عكسيّة. يستعرض هذا المحور مقاربتين رئيسيّتين في هذا المجال: التحصين المعرفيّ والتواصل الاستراتيجيّ غير المباشر.

8.1. التحصين المعرفيّ: بناء المناعة ضدّ التلاعب

- **المبدأ والنظريّة:** تستلهم نظريّة التحصين المعرفيّ (29) (Cognitive Inoculation Theory) فكرتها من التلقيح الطبّيّ، وتقوم على أنّه يمكن بناء مقاومة نفسيّة ضدّ محاولات الإقناع غير المرغوب فيها (كالدعاية المضلّلة أو تقنيّات التجنيد المتطرّفة) عن طريق تعريض الأفراد استباقيًّا لـ"جرعات ضعيفة" ومكشوفة من هذه المحاولات، ما يحفّز لديهم آليّات الدفاع المعرفيّ.
- **آليّات العمل:** يعمل التحصين عبر آليّتين: **التحذير المسبق** (تنبيه الفرد باحتماليّة تعرّضه للتلاعب)، و**التفنيد الاستباقيّ** أو **ما قبل الدحض** (30) (Pre-bunking)، والّذي يتضمّن تزويد الفرد بحجج مضادّة أو تعليمه كيفيّة كشف المغالطات المنطقيّة وتقنيّات التلاعب المستخدمة في الرسائل المستهدفة. ويمكن أن يكون التحصين نشطًا (بتشجيع الفرد على توليد تفنيداته بنفسه) ما قد يزيد فاعليّته.
- **التطبيق في مواجهة التطرّف:** يمكن تطبيق هذه النظريّة لبناء مناعة لدى الجمهور، وخاصّة الشباب، ضدّ تقنيّات التجنيد والدعاية التكفيريّة. يجري ذلك عبر تعريفهم المسبق بهذه التقنيّات الشائعة (مثل استغلال المظالم، شيطنة الآخر، اللعب على العواطف، تقديم وعود زائفة، نشر قصص الزمر المتطرّفة) وتعليمهم كيفيّة التعرّف عليها

ومقاومتها. من الأمثلة العمليّة تطوير أدوات تفاعليّة أو ألعاب إلكترونيّة تحاكي هذه التقنيّات في بيئة آمنة، ما يسمح للمستخدمين بفهمها وتطوير آليّات دفاع ضدّها.

- **الفاعليّة والقيود:** التحصين المعرفيّ يمكن أن يقلّل من قابليّة التأثّر بالرسائل المتلاعِبة، ويزيد القدرة على كشفها على المدى القصير (29)، خاصّة بين الأفراد الّذين لا يحملون تعاطفًا أيديولوجيًّا قويًّا مسبّقًا مع التطرّف. ومع ذلك، لم تزل ثمّة حاجة لمزيد من البحث حول استمراريّة هذه الآثار على المدى الطويل ومدى فاعليّتها مع الأفراد الملتزمين بشدّة أو المنخرطين بالفعل.
- **الأهمّيّة في إطار البحث:** تكمن أهمّيّة التحصين المعرفيّ في أنّه يحوّل التركيز من **محتوى** الأيديولوجيّة إلى **عمليّة التلاعب** نفسها. وهذا يتوافق تمامًا مع الإطار "الزمَريّ" الّذي يركّز على آليّات السيطرة والتلاعب. ومع ذلك، تشير حدوده إلى أنّه أداة **وقائيّة** بالدرجة الأولى للأفراد غير المنخرطين أو الموجودين على الهامش، ما يؤكّد الحاجة لاستراتيجيّات تدخّل مختلفة للأعضاء المتشبّعين بهذا الفكر.

8.2. التواصل الاستراتيجيّ غير المباشر: تعزيز النقد والقيم البديلة

تهدف هذه المقاربة إلى تجاوز حواجز الثقة وآليّات الدفاع النفسيّ الّتي تثيرها المواجهة المباشرة، وذلك من خلال التركيز على بناء الجسور، وتعزيز القيم الإيجابيّة، وتشجيع التفكير النقديّ بصورة غير مباشرة، بدلًا من مهاجمة الأيديولوجيّة المتطرّفة صراحةً. تشمل التقنيّات الممكنة:

- **تعزيز مهارات التفكير النقديّ العامّ:** تزويد الأفراد، خاصّة عبر التعليم الرسميّ وغير الرسميّ، بالمهارات العقليّة اللازمة لتقييم المعلومات بصورة مستقلّة، والتعرّف على المغالطات المنطقيّة، والانحيازات الإدراكيّة، وفهم آليّات التأثير الاجتماعيّ. يمثّل هذا حصانة عامّة ضدّ جميع أشكال التلاعب، بما فيها الدعاية المتطرّفة.
- **استخدام السرديّات الإيجابيّة والبديلة:** نشر قصص ونماذج واقعيّة تجسّد قيمًا إيجابيّة كالتعايش والتسامح والمواطنة والمثابرة، وتقديم أمثلة لأفراد اختاروا مسارات بنّاءة بدلًا من العنف أو التطرّف، ما يوفّر بدائل ملهمة.
- **كشف التناقضات الداخليّة (بصورة غير مباشرة):** بدلًا من الجدل المباشر، يمكن تسليط الضوء بذكاء، ربّما عبر وسائل الإعلام أو الفنّ، على التناقضات بين أقوال وأفعال الجماعات المتطرّفة، أو نقاط التناقض في طرحها، أو الصراعات الداخليّة أو البينيّة فيها، ممّا قد يزرع الشكّ لدى المتعاطفين دون إثارة ردّ فعل دفاعيّ مباشر.
- **التركيز على القيم المشتركة:** التأكيد على القيم الإنسانيّة أو الدينيّة أو الوطنيّة الّتي يتّفق عليها غالبيّة المجتمع، وتصوير الجماعات المتطرّفة على أنّها خارجة عن هذا الإجماع وتمثّل انحرافًا عنه.
- **الإفادة من الأصوات ذات المصداقيّة:** الاعتماد على شخصيّات محلّيّة أو وطنيّة (قادة مجتمع، علماء دين معتدلون، فنّانون، رياضيّون، مؤثّرون شباب، أو حتّى أعضاء سابقون تائبون) لنقل الرسائل الإيجابيّة أو التحذيريّة، لأنّهم يتمتّعون بثقة أكبر لدى الجمهور المستهدف.
- **تجزئة الجمهور واختبار الرسائل:** تصميم حملات تواصل استراتيجيّ بناءً على فهم دقيق لخصائص واحتياجات وقيم الشرائح المختلفة من الجمهور، واختبار تأثير الرسائل عليها قبل إطلاقها على نطاق واسع لضمان فاعليّتها.
- **تلويث البئر:** إطلاق أجهزة المخابرات والأجهزة الأمنيّة المعنيّة موادّ تحاكي الموادّ الدعائيّة المتطرّفة، ومراقبة جمهورها، وذلك بهدف الاختراق والوقاية. وقد قامت بالفعل أجهزة مخابرات دوليّة بمثل هذا، ولكن لم يكن الدافع الوقاية من التطرّف، ولكن اختراق الجماعات المتطرّفة.
- **حملات بناء التعاضد المجتمعيّ:** دعم المبادرات المحلّيّة الّتي تعزّز التماسك الاجتماعيّ، وتوفّر فرصًا للشباب، وتعالج المظالم المحلّيّة بصورة سلميّة، ما يقلّل من البيئة الحاضنة الّتي قد يستغلّها المتطرّفون.

يتطلّب التواصل الاستراتيجيّ غير المباشر فهمًا عميقًا للجمهور المستهدف ويتجاوز مجرّد بثّ المعلومات "الصحيحة"، ليركّز على التفاعل مع إطارهم المرجعيّ بطريقة تلقى صدًى وتتجنّب إثارة مقاومتهم الدفاعيّة. وهذا يساعد في التغلّب على حواجز الاتّصال الّتي تقيمها غرف الصدى والجماعات المتلاعبة.

إنّ الدمج بين استراتيجيّات التحصين المعرفيّ (الّتي تبني الدفاعات ضدّ التلاعب) والتواصل الاستراتيجيّ غير المباشر (الّذي يعزّز التفكير النقديّ ويقدّم بدائل إيجابيّة) يمكن أن يوفّر مقاربة وقائيّة متكاملة قويّة، تكمل استراتيجيّات التدخّل الموجّهة للأفراد المنخرطين.

9. المحور الثامن: نحو سياسة عامّة مُحدّثة: استراتيجيّة التعامل مع المجتمعات المتأثّرة بالفكر الزمَريّ

إنّ الإقرار بالطبيعة النفسيّة-الاجتماعيّة والمقاربة الزمَريّة لظاهرة التكفير المنظّم، كما جرى تفصيله في المحاور السابقة، لا يستدعي فقط تحديث أساليب التدخّل الفرديّ مع الأشخاص المنخرطين، بل يتطلّب بصورة أساسيّة تطوير سياسة عامّة واستراتيجيّة مجتمعيّة شاملة. هذه السياسة يجب أن تكون قادرة على التعامل مع البيئات والمجتمعات الّتي قد تكون وقعت تحت تأثير هذا الفكر وأصبحت، بدرجات متفاوتة، "مختطَفة" لصالح أيديولوجيّته المغلقة وأنماط تفكيره وسلوكه. يمثّل هذا الانتقال من التركيز على الفرد إلى استهداف البيئة والمجتمع جوهر "تحديث المواجهة" المقترح في هذه الورقة.

9.1. المبدأ العامّ: تطبيق منطق مواجهة "الزمر" على المستوى المجتمعيّ

تعتمد استراتيجيّات التعامل مع الأفراد الخارجين من الزمر العقائديّة على مبادئ أساسيّة مثل عزلهم عن محيط الزمرة، وكسر العزلة الّتي فرضتها عليهم، وتقويض آليّات السيطرة النفسيّة والمعرفيّة، وإعادة بناء الهُويّة والاستقلاليّة، ومعالجة الصدمات، وتوفير الدعم لإعادة الاندماج. عندما يتغلغل فكر تكفيريّ ذو سمات زمريّة في مجتمع ما، فإنّ ديناميكيّات مشابهة لعمل الزمر يمكن ملاحظتها على المستوى الجمعيّ: عزلة معرفيّة واجتماعيّة عن المحيط الأوسع ومحاربة أيّ مؤثّر خارج النمط المتطرّف والتحذير منه بوصفه داعية إلحاد، هيمنة خطاب أحاديّ يرفض النقد على الفضاء العامّ، سيطرة قادة رأي محلّيّين (قد يكونون دعاة أو شخصيّات اجتماعيّة) يفرضون رؤية الجماعة ويعاقبون المخالفين اجتماعيًّا، ضغط امتثال قويّ، ترسيخ هُويّة جماعيّة منغلقة قائمة على "نحن مقابل هم". لذلك، فإنّ المبدأ العامّ للسياسة المحدّثة المقترحة هو **مواجهة هذه الديناميكيّات الزمريّة المجتمعيّة بصورة منهجيّة ومباشرة**، وليس فقط التعامل مع تجلّياتها الفرديّة. الهدف هو "تحرير" الفضاء الاجتماعيّ والمعرفيّ العامّ للمجتمع المتأثّر، وتقوية مناعته الذاتيّة ضدّ الفكر المغلق، وإعادة ربطه بالمجتمع الأوسع وقيمه المشتركة.

9.2. ركائز الاستراتيجيّة المقترحة: الانطلاق من الفرد إلى المجتمع

تستند الاستراتيجيّة المقترحة إلى ترجمة مبادئ مواجهة التأثير الزُمَريّ الفرديّ إلى سياسات وإجراءات عمليّة تستهدف المجتمع ككلّ:

9.2.1. كسر العزلة وتعزيز الانفتاح (الفرديّ والمجتمعيّ):

- **على مستوى الفرد:** تهدف التدخّلات الفرديّة إلى إعادة ربط الشخص بعائلته ومجتمعه الإيجابيّ خارج الزمرة، وكسر اعتماده الكلّيّ عليها.
- **على مستوى السياسة العامّة المجتمعيّة:** يجب أن تعمل السياسات على:
  - **مكافحة العزلة المعلوماتيّة:** دعم وصول وسائل إعلام متنوّعة ومستقلّة إلى هذه المجتمعات، وتطوير برامج تربية إعلاميّة مكثّفة تساعد أفراد المجتمع على التمييز بين الأخبار والدعاية وكشف التضليل ومقاومة تأثير غرف الصدى الرقميّة.
  - **تعزيز التفاعل الاجتماعيّ والثقافيّ:** تصميم وتمويل برامج للتبادل الثقافيّ والرياضيّ والاجتماعيّ والاقتصاديّ تشجّع على التفاعل الإيجابيّ المنظّم بين سكّان هذه المجتمعات والمجتمعات الأخرى، بهدف كسر الصور النمطيّة وبناء جسور الثقة والتفاهم المتبادل، ويكون هذا داخل المجتمعات الجزئيّة الداخليّة الّتي تجري الدعاية ضدّها، مثل العلمانيّين وأبناء الأديان الأخرى، والملحدين، لكن لا يكون ذلك في إطار المناظرة بل في أطر غير ذات صلة بالنقاش.
  - **توفير منصّات للحوار الداخليّ:** دعم مبادرات مجتمعيّة (بقيادة محلّيّة موثوقة) توفّر مساحات آمنة للنقاش الداخليّ الهادئ حول القضايا الخلافيّة داخل المجتمع نفسه، وتشجيع الأصوات المعتدلة والمتنوّعة على الظهور، مع تجنّب فرض الحوار من الخارج.
  - **فرض الأمن بصورة واضحة:** تعزيز الحضور الأمنيّ ومنع دعاة التطرّف من مهاجمة المؤثّرين الصريحة والمبطّنة، بل وإنّه من الواجب استغلال الإمكانيّة الكامنة في الإسلام نفسه وفي القانون المدنيّ للدول

العربيّة بمعاقبة من يلوّح بالتكفير.

9.2.2. تقويض آليّات السيطرة الزمريّة (الفرديّة والمجتمعيّة):

- **على مستوى الفرد:** يهدف العلاج والإرشاد إلى مساعدة الفرد على التعرّف على أساليب التلاعب الّتي تعرّض لها، وإعادة بناء قدرته على التفكير النقديّ المستقلّ.
- **على مستوى السياسة المجتمعيّة العامّة:**
  - **معرفيًّا (التعليم والتوعية):**
    - **إصلاح التعليم:** تطوير المناهج الدراسيّة في مدارس هذه المجتمعات لتشمل بصورة أساسيّة تعليم مهارات التفكير النقديّ، وتحليل الحجج، وفهم التعدّديّة الثقافيّة والدينيّة، وتاريخ الأفكار، والقيم المدنيّة المشتركة.
    - **دعم المرجعيّات البديلة:** تحديد ودعم وتمكين الأصوات الدينيّة والثقافيّة والاجتماعيّة المعتدلة المستنيرة الموثوقة **من داخل** المجتمع نفسه، لتوفير بديل فكريّ ومعرفيّ جذّاب مقنع مقابل الأيديولوجيّة المتطرّفة.
    - **التحصين المعرفيّ المجتمعيّ:** إطلاق حملات توعية عامّة وموجّهة، ربّما باستخدام تقنيّات التحصين المعرفيّ (Pre-bunking)، لتعريف السكّان بآليّات الإقناع القسريّ والتلاعب النفسيّ ومكامن التطرّف في الخطاب الّتي تستخدمه الجماعات المتطرّفة الشبيهة بالزمر، وكيفيّة التعرّف عليها ومقاومتها.
  - **عاطفيًّا (معالجة المظالم والهُويّة):**
    - **معالجة المظالم الجذريّة:** تبنّي سياسات جادّة لمعالجة المظالم الحقيقيّة (الفقر، البطالة، التهميش السياسيّ، الفساد، التمييز) الّتي قد تستغلّها الجماعات المتطرّفة لتغذية السخط والغضب وتبرير خطابها. يجب أن يشعر السكّان بأنّ الدولة والمجتمع الأوسع يهتمّان بمشاكلهم ويعملان على حلّها، وحين يكون ثمّة مظلوميّة واضحة لا يمكن حلّها لحظيًّا فالتصدّي العلنيّ لها وتعليم المجتمع بالممكنات يكون كافيًا.
    - **تعزيز الهويّات الإيجابيّة الأصيلة:** دعم المبادرات الّتي تعزّز الشعور بالانتماء الإيجابيّ للهويّات الوطنيّة والمحلّيّة والثقافيّة والمهنيّة، وتقديم روايات تاريخيّة ووطنيّة جامعة تتجاوز الانتماءات الأيديولوجيّة الضيّقة.
  - **سلوكيًّا (تطبيق القانون بحكمة وعدالة):**
    - **سيادة القانون المستهدفة:** تطبيق القانون بحزم وشفافيّة ضدّ **الأفعال الإجراميّة المحدّدة** (العنف، التحريض المباشر على العنف، التمويل غير المشروع) الصادرة من أفراد أو مجموعات داخل هذه المجتمعات، مع **التجنّب التامّ للعقاب الجماعيّ** أو الإجراءات الأمنيّة العشوائيّة الّتي تؤدّي إلى نفور المجتمع بأكمله وتعزّز رواية المظلوميّة.
    - **الشرطة المجتمعيّة وبناء الثقة:** تطوير أساليب عمل أمنيّ تركّز على بناء الثقة والتعاون مع السكّان المحلّيّين (31) (Community Policing)، وتدريب أفراد الأمن على مهارات التواصل وحلّ النزاعات واحترام حقوق الإنسان والحساسيّات الثقافيّة.
    - **نزاهة الإجراءات القضائيّة:** ضمان أن تركّز المحاكمات على الأدلّة المادّيّة المتعلّقة بالأفعال المنسوبة للمتّهمين وتناقضاتهم، وأن تجري بصورة عادلة شفّافة، مع تجنّب تحويلها لمنصّات للدعاية الأيديولوجيّة أو الاستجابة للضغوط الشعبويّة.

9.3. تحدّيات تطبيق هذه السياسة المجتمعيّة

إنّ تطبيق استراتيجيّة مجتمعيّة بهذا العمق والطموح يصطدم حتمًا بتحدّيات كبيرة تتطلّب وعيًا ومعالجة مستمرّة:

- **التحدّيات العمليّة:** الحاجة لموارد ضخمة طويلة الأمد، وصعوبة الوصول والتأثير داخل بيئات مغلقة أو شديدة الحذر، وندرة الخبرات القادرة على العمل في هذه الظروف المعقّدة، وصعوبات قياس الأثر المجتمعيّ بدقّة، وضمان استدامة الجهود وتنسيقها بين جهات متعدّدة.

- **التحدّيات الأخلاقيّة:** الخطر الدائم "لوصم مجتمعات بأكملها عند استهدافها ببرامج مكافحة التطرّف" (32)، والحفاظ على التوازن الصعب بين حماية أمن المجتمع واحترام الحرّيّات الفرديّة (خاصّة حرّيّة الفكر والمعتقد)، وضمان عدم استخدام هذه السياسات كغطاء للقمع السياسيّ أو التمييز ضدّ فئات معيّنة، ومنع إساءة استخدام التقنيّات النفسيّة للتلاعب بدلًا من التمكين.
- **التحدّيات القانونيّة:** تطوير أطر قانونيّة تتيح التدخّل المجتمعيّ والوقائيّ بفاعليّة دون انتهاك الحقوق الأساسيّة، وتعريف جرائم التحريض والكراهية بدقّة، وضمان استقلاليّة القضاء ونزاهته.
- **التحدّيات الاجتماعيّة والثقافيّة:** ضرورة تكييف أيّ تدخّل مع الخصوصيّات الثقافيّة والدينيّة والاجتماعيّة لكلّ مجتمع، والتغلّب على انعدام الثقة التاريخيّ المحتمل بين المجتمعات والسلطات، والتعامل مع مقاومة التغيير من داخل المجتمع نفسه، وضمان المشاركة المجتمعيّة الحقيقيّة والملكيّة المحلّيّة للبرامج لتجنّب الشعور بأنّها مفروضة من الخارج.

9.4. دور الفلسفة والتفكير النقديّ في دعم السياسة المحدّثة

تلعب الفلسفة وأدوات التفكير النقديّ دورًا محوريًّا في إنجاح هذه السياسة المحدّثة، ليس فقط من خلال المساهمة في تحليل الظاهرة وتحديد المفاهيم بدقّة، أو تقييم الأبعاد الأخلاقيّة للتدخّلات، بل في الأساس من خلال التأكيد على **مركزيّة تنمية مهارات التفكير النقديّ لدى المواطنين** كهدف استراتيجيّ بحدّ ذاته (33). إنّ مجتمعًا يمتلك أفراده القدرة على التحليل المستقلّ، وتقييم الحجج، وكشف المغالطات، والتعامل مع التعقيد والتعدّديّة، هو بطبيعته مجتمع أكثر مناعة ضدّ الاستقطاب والتطرّف والدعاية المتلاعبة. كما توفّر الفلسفة أدوات لتطوير حوار مجتمعيّ بنّاء حول القيم المشتركة وأسس العيش معًا.

رغم التحدّيات الجمّة، فإنّ الانتقال نحو سياسة عامّة مستنيرة نفسيًّا واجتماعيًّا، تنطلق من فهم التكفير كظاهرة ذات أبعاد زمَريّة وتعمل على معالجة ديناميكيّاتها على مستوى المجتمع، يمثّل التحديث الضروريّ والمأمول لتطوير مواجهة شاملة ومستديمة لهذه الظاهرة المعقّدة.

10. خاتمة

ونحن نصل نهاية هذه الرحلة البحثيّة الطويلة في دهاليز ظاهرة التكفير، نجد أنفسنا أمام استنتاج واضح: مقاربات المواجهة التقليديّة فشلت لأنّها لم تفهم حقيقة ما تواجهه. لقد تعاملت مع التكفير على أنّه مجرّد فكرة يمكن دحضها، أو اجتهاد فقهيّ يمكن تصويبه، أو سلوك منحرف يمكن تقويمه، متجاهلةً البنية النفسيّة والاجتماعيّة العميقة التي تمنحه قوّته وقدرته على البقاء والتأثير.

إنّ "تحديث المواجهة" الذي اقترحته هذه الورقة يتجاوز النقاش الفكريّ التقليديّ حول المحتوى الأيديولوجيّ للخطاب التكفيريّ، ليركّز على الأبعاد النفسيّة والاجتماعيّة للظاهرة، منطلقًا من إطار تحليليّ يعتبر الجماعات التكفيريّة المنظّمة "زمَرًا عقائديّة" (cults) تستخدم آليّات متطوّرة من السيطرة والتلاعب النفسيّ لتجنيد أعضائها والحفاظ على ولائهم.

هل يعني هذا أنّنا يجب أن نتوقّف عن النقاش الفكريّ والجدل الشرعيّ مع أطروحات التكفيريّين؟ بالطبع لا. لكن ذلك وحده لن يكون كافيًا، ولن يكون فعّالًا إلا إذا جاء في إطار استراتيجيّة أشمل تأخذ في اعتبارها هذه الأبعاد العميقة للظاهرة.

يمكن أن نلخّص أهمّ دروس هذا البحث في النقاط الآتية:

1. **التحوّل من مواجهة الأفكار إلى مواجهة آليّات السيطرة:** المشكلة الحقيقيّة ليست في وجود أفكار متطرّفة، بل في وجود منظومات متكاملة قادرة على خلق بيئة مغلقة تسيطر على كلّ جوانب حياة الأفراد، وتمنعهم من التفكير المستقلّ والتعرّض لوجهات نظر مختلفة (18).
2. **إعادة بناء الهُويّة والانتماء الإيجابيّ:** لا يمكن أن نطلب من إنسان التخلّي عن هُويّة وانتماء دون أن نقدّم له بديلًا إيجابيًّا. الخروج من الفكر المتطرّف ليس مجرّد تغيير في القناعات الفكريّة، بل هو إعادة بناء للذات والهُويّة، وهذا يستلزم دعمًا نفسيًّا واجتماعيًّا مكثّفًا (27).

3. **التمييز بين التوقّف عن العنف ونبذ التطرّف**: يجب أن نميّز بين مجرّد الانفصال السلوكيّ عن العنف (Disengagement) وبين التغيير الجذريّ في القيم والمعتقدات (28) (Deradicalization). الأوّل قد يحدث لأسباب براغماتيّة أو ظرفيّة، لكنّه لا يضمن عدم العودة إلى التطرّف متى سنحت الفرصة.
4. **الانتقال من الفرد إلى المجتمع**: عندما تتغلغل الأفكار التكفيريّة في مجتمع ما، تتشكّل بيئة اجتماعيّة مغلقة تشبه في آليّات عملها الزمرة العقائديّة، وتحتاج إلى استراتيجيّات متخصّصة لإعادة فتحها على العالم وتمكين أفرادها من استعادة استقلاليّتهم الفكريّة.
5. **دور الفلسفة والتفكير النقديّ في المواجهة**: تمتلك الفلسفة أدوات قويّة لمواجهة أسس الفكر المتطرّف، ليس فقط من خلال تفنيد مقولاته، بل من خلال تعزيز العقلانيّة والتفكير النقديّ والقدرة على التعامل مع التعقيد والتعدّديّة (33).

لقد وصلنا إلى مفترق طرق في مواجهة التكفير. إمّا أن نستمرّ في المقاربات التقليديّة التي أثبتت محدوديّتها (3)، ويتوقّع أن يكون لها آثار عكسيّة، أو أن نتبنّى منهجًا جديدًا يستفيد من المعرفة المتراكمة في علم النفس الاجتماعيّ ودراسات الزمر العقائديّة والعلوم الإنسانيّة المختلفة (6).

إنّ مواجهة التكفير ليست معركة عسكريّة أو أمنيّة فحسب، وليست معركة فكريّة أو دينيّة فقط، بل هي معركة مجتمعيّة شاملة، تتطلّب جهودًا متضافرة من كلّ مؤسّسات المجتمع وقواه الحيّة. وعلينا أن نتذكّر دائمًا أنّ هدفنا النهائيّ ليس فقط هزيمة أيديولوجيّة التكفير، بل بناء مجتمعات متسامحة قادرة على الإبداع والتقدّم، مجتمعات تؤمن بالتعدّديّة وبقيمة الإنسان وحقّه في الكرامة والحرّيّة والعدالة.

قد تبدو المعركة صعبة وطويلة، لكن فهم جذور المشكلة وطبيعتها العميقة هو الخطوة الأولى نحو حلّها. وما قدّمناه في هذه الورقة ليس سوى محاولة متواضعة لإعادة تأطير الظاهرة وفهمها بشكل أفضل، على أمل أن يسهم ذلك في تطوير استراتيجيّات مواجهة أكثر فاعليّة وإنسانيّة.

من الجوامع إلى مراكز الشباب، من المدارس إلى وسائل الإعلام، من التشريعات القانونيّة إلى السياسات الاقتصاديّة والاجتماعيّة، علينا أن نستنفر كلّ أدواتنا وإمكاناتنا في معركة الفكر والوعي هذه. فالتكفير ليس مجرّد تهديد أمنيّ، بل هو تهديد وجوديّ للمشروع الحضاريّ العربيّ والإسلاميّ بأكمله.

وأخيرًا، أودّ أن أؤكّد أنّ هذه المقاربة "المنجميّة" التي اقترحتها، وهي تقوم على القياس والتشبيه المنهجيّ بين التكفير والزمريّة، وبين الفرد والمجتمع، هي محاولة لتطبيق الفلسفة على مشكلة واقعيّة ملحّة (5). وهي تذكرنا بأنّ الفلسفة ليست ترفًا فكريًّا أو تجريدًا متعاليًا، بل هي في جوهرها أداة لفهم الواقع وتغييره نحو الأفضل.

نورالدين زهير

المراجع

(1) الحرة. (27 سبتمبر 2016). حتّر وآخرون.. شخصيات عربية 'سرقتها' بنادق التشدد. تم الوصول إليه في 20 أبريل 2025، عبر: https://www.alhurra.com/choice-alhurra/2016/09/27/%D8%AD%D8%AA%D9%91%D8%B1-%D9%88%D8%A2%D8%AE%D8%B1%D9%88%D9%86-%D8%B4%D8%AE%D8%B5%D9%8A%D8%A7%D8%AA-%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9-%D8%B3%D8%B1%D9%82%D8%AA%D9%87%D8%A7-%D8%A8%D9%86%D8%A7%D8%AF%D9%82-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B4%D8%AF%D8%AF

Sedgwick, M. (2015). Jihadism and Cults: A Comparison. Perspectives on Terrorism, (2) .9(4), 16-28

Bjørgo, T. (Ed.). (2005). Root Causes of Terrorism: Myths, Reality and Ways (3) .Forward. Routledge

Braddock, K. (2020). Counter‐narratives for the prevention of violent radicalisation: (4) A systematic review of targeted interventions. Campbell Systematic Reviews, 16(3), .e1109

(5) زهير، نورالدين. (2024). التنقيب عن المعنى. منشور على مدونة المؤلف. تم الوصول إليه في 21 أبريل 2025، عبر: https://nourreddin.net/2024/06/13/%d8%a7%d9%84%d8%aa%d9%86%d9%82%d9%8

/a%d8%a8-%d8%b9%d9%86-%d8%a7%d9%84%d9%85%d8%b9%d9%86%d9%89

Singer, M. T., & Lalich, J. (1995). Cults in Our Midst: The Hidden Menace in Our (6) .Everyday Lives. Jossey-Bass

Langone, M. D. (Ed.). (1993). Recovery from Cults: Help for Victims of Psychological (7) .and Spiritual Abuse. W. W. Norton & Company

Horgan, J., & Braddock, K. (2010). Rehabilitating the Terrorists?: Challenges in (8) Assessing the Effectiveness of De-radicalization Programs. Terrorism and Political .Violence, 22(2), 267-291

Lalich, J. (2004). Bounded Choice: True Believers and Charismatic Cults. University (9) .of California Press

Hogg, M. A. (2014). From uncertainty to extremism: Social categorization and (10) .identity processes. Current Directions in Psychological Science, 23(5), 338-342

.Hassan, S. (1988). Combatting Cult Mind Control. Park Street Press (11)

Kruglanski, A. W., et al. (2014). The psychology of radicalization: A review of theory (12) .and evidence. Psychological Inquiry, 25(3-4), 440-447

The Mind of the Terrorist - France Diplomatie (13). (تقرير). تم الوصول إليه في 20 أبريل 2025، عبر: https://www.diplomatie.gouv.fr/IMG/pdf/critik_psychoterrorisme.pdf

Köhler, D., et al. (2021). Psychosocial Prevention Programs against Radicalization (14) and Extremism: A Meta-Analysis of Outcome Evaluations. Revista de Psicología Social, .36(3), 480-519

Barbeta-Viñas, M., & Jorba, L. (2022). Evidence of Psychological Manipulation in (15) the Process of Violent Radicalization: An Investigation of the 17-A Cell. Behavioral .Sciences, 12(3), 77

Arab Center Washington DC. (2017). Understanding Violent Extremism: The Social (16) Psychology of Identity and Group Dynamics. تم الوصول إليه في 20 أبريل 2025، عبر: https://arabcenterdc.org/resource/understanding-violent-extremism-the-social-psycholog /y-of-identity-and-group-dynamics

.Hasan, S. (2017). Brainwashing Young People into Violent Extremist Cults (17)

Hasan, A. F., et al. (2024). The Psychology of Indoctrination: How Coercive Cults (18) Exploit Vulnerability and Foster Radical Beliefs. ResearchGate. تم الوصول إليه في 20 أبريل 2025، عبر: https://www.researchgate.net/publication/385937782_The_Psychology_of_Indoctrinatio n_How_Coercive_Cults_Exploit_Vulnerability_and_Foster_Radical_Beliefs

.Festinger, L. (1957). A Theory of Cognitive Dissonance. Stanford University Press (19)

SOCIAL IDENTITY AND RADICALISATION: A Review of .(د.ت.). WANA Institute (20)
Key Concepts. تم الوصول إليه في 20 أبريل 2025، عبر:
https://wanainstitute.org/sites/default/files/publications/Publication_SocialIdentityTheory_English.pdf

FBI Law Enforcement Bulletin (LEB). (May 10, 2021). Dangers of Groupthink and (21)
the Internet. تم الوصول إليه في 20 أبريل 2025، عبر:
https://leb.fbi.gov/articles/featured-articles/dangers-of-groupthink-and-the-internet

Jost, J. T., et al. (2023). Cultural threat perceptions predict violent extremism via (22)
.need for cognitive closure. PNAS Nexus, 2(5), pgad145

Nguyen, C. T. (2020). Echo Chambers and Epistemic Bubbles. Episteme, 17(2), (23)
.141-161

Conway, M. (2023). Synergy between Cults and Terror Groups: A Systematic (24)
.(Review. Perspectives on Terrorism, 17(3), 103-129. (GNET Report

Giambalvo, C. (1992). Exit Counseling: A Family Intervention. International Cultic (25)
.(Studies Association (ICSA

Beck, J. S. (2011). Cognitive behavior therapy: Basics and beyond (2nd ed.). (26)
.Guilford Press

RAN Europe (Radicalisation Awareness Network). (November 2021). The role of (27)
psychotherapy in rehabilitation and exit work. تم الوصول إليه في 20 أبريل 2025، عبر:
https://home-affairs.ec.europa.eu/system/files/2021-11/ran_role_of_psychotherapy_in_rehabilitation_and_exit_work_112021_en.pdf

Cragin, K. (2009). Understanding Terrorist Ideologies and Beliefs. Public Safety (28)
Canada. تم الوصول إليه في 20 أبريل 2025، عبر:
https://www.publicsafety.gc.ca/lbrr/archives/cn28580-eng.pdf

Van der Linden, S., et al. (2021). Does Attitudinal Inoculation Confer Resistance to (29)
Violent Extremist Propaganda? Assessing Mechanisms, Long‐Term Effects, and the
.Advantage of Visuals. Political Psychology, 42(5), 859-878

Roozenbeek, J., & van der Linden, S. (February 3, 2020). Prebunking interventions (30)
based on “inoculation” theory can reduce susceptibility to misinformation across
cultures. Harvard Kennedy School Misinformation Review. تم الوصول إليه في 20 أبريل 2025،
عبر: https://misinforeview.hks.harvard.edu/article/global-vaccination-badnews/

UNODC. (December 2016). Communities First: A Guide to Preventing Violent (31)
Extremism. United Nations Office on Drugs and Crime. تم الوصول إليه في 20 أبريل 2025، عبر:
https://www.unodc.org/documents/brussels/News/Communities_First_December_2016.

pdf

National Academies of Sciences, Engineering, and Medicine. (2017). Countering (32)
.Violent Extremism: Scientific Methods & Strategies. The National Academies Press
(المشار إليه بـ NCBI في المصدر 2 #24). تم الوصول إليه في 20 أبريل 2025، عبر:
/https://www.ncbi.nlm.nih.gov/books/NBK537585

Qatar International Academy for Security Studies (QIASS). (May 2016?). CVE (33)
Counter Narrative Study. تم الوصول إليه في 20 أبريل 2025، عبر:
https://qiass.org/wp-content/uploads/2016/05/CVE-Counter-Narrative-Study.pdf